﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢﴾ [الأعراف: 92]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تقريرُ الخسارة الحقيقيّةِ في الدّنيا والآخرة

لمّا هدَّد الرؤساءُ المتغطرِسون المؤمنين بالخسران إنِ استمرّوا على اتّباعهم لشعيبٍ ﷺ؛ ذكر الله سبحانه أنّ أولئك المكذّبين هم الخاسرون حقًّا وصدقًا، فقد خسروا أنفسَهم، فكفروا، وضلّوا، وخسروا ديارَهم، فهُدِّمتْ، وخسروا يومَ القيامة، فكانوا حطبَ جهنَّم، وهم فيها خالدون[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَغۡنَوۡاْ﴾: الغين والنون والياء أصلان يدلُّ أحدُهما على الكفاية، ومنه: غَنيَ القومُ في دارهم: أقاموا، كأنّهم استغنَوا بها[2]، وغَنيَ القومُ في المحلّة والمكان، طالَ مُقامهم فيهما مستغْنين بهما، وتقول للشّيء إذا فني: كأن لم يَغْنَ بالأمس، أي: كأن لم يكن[3]، وفُسِّرتِ اللّفظةُ في الآية الكريمة بمعنى: لم يُقيموا فيها[4]، أي: فنَوا حتى كأنهم لم يكونوا.

❁ المعنى الإِجْماليُّ:

وصـــفُ آثـــار عقوبةِ الكافرين

مِلاكُ هذا الوصف المجازاةُ بالعقوبة من جنس العمل، فالذين هدَّدوا شعيبًا ومَن آمن معه بالإخراج، وتوعّدوا بالخسران مَنْ يتبعُهُ من قومهم، ويميلُ إلى وِرْدِ عَذْبِ منهلِه، وظلالِ رحمة رسالتِه، كانوا كأنَّهم لم يَنْعَموا بالعيش في ديارِهم، بل كأنّهم لم يعيشوا، ولم يكونوا،

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2901.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).
(3) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (غني).
(4) الأزهري، التهذيب: (غني).

ثم كُرِّر القولُ مع وصفهم بالخاسرين لتعظيم المذلّة لهم، وتفظيعِ ما يستحقون منَ الجزاء على جهلهم، وإصرارِهم على الكفر، ومعاندتِهم، ومزيدِ بيانٍ لابتلائهم بِشُؤْمِ قولتهم؛ فكنتم الخاسرين لمجدكم، وشرفِكم، ورياستِكم، وثرواتِكم وكلِّ ما فيه منفعتُكم[1].

وترشد الآيةُ الكريمة إلى أنّ جزاء الظّالم المستبدّ من جنس فِعاله، والاستبدادُ مآلُه إلى الفناء، والخسرانِ في الدنيا، وهو ظلماتٌ يوم القيامة؛ فالحذرَ الحذرَ منه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الفصل في الآية:

تناسبُ المبالغةُ في الـردّ عليهم جُـرمَ تكذيبهم شعيبًا عليه السلام

جملةُ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ ابْتِدائِيَّةٌ؛ إذ لما فرّع كلامَه بأخذهم بطريق الاستئصال على قولِهم المُؤدّي إلى الهلاك على الوجه المذكور، لم يبقَ شيءٌ ممّا يتعلّقُ ببيان حالهم، فلا جَرَمَ كان قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ كلامًا مستأنَفًا جيء به للمبالغة في الردّ عليهم بتخصيص العذاب والخسران بالمكذبين، وأنّ المُصدّقين بمعزلٍ عنه[2]، فهو استئنافٌ لبيان ابتلائِهم بشؤم قولِهم: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ﴾، أو بتكذيبِهم شعيبًا عليه السلام، أو لبيان كيفيةِ أخْذِ الرَّجْفَة؛ إذ تعليقُ الحكم بالمشتقّ يدلُّ على علّيّةِ مأخذِ الاشتقاق، كما هو المعروفُ بالاتفاق[3].

علّةُ التّعريف بالموصول:

جـزاءُ التّكذيبِ الاضمحلالُ

التَّعْريفُ بالمَوْصوليّة للإيماءِ إلى وجْهِ بناءِ الخَبَرِ، وهو أنَّ اضْمِحْلالَهم وانْقِطاعَ دابِرِهم كانَ جَزاءً لَهم على تَكْذيبِهِمْ شعيبًا[4].

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/252، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/252.
(2) زاده، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 4/262.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/449.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/13.

سرّ تقديم الموصول:

تقديمُ الموصول على فعله ﴿كَانُواْ﴾ في قَولِه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ إذا اعْتُبِرَتْ ﴿كَانُواْ﴾ فِعْلًا؛ فهو تَقْديمٌ لِإفادَةِ تُقَوّي الحُكْمَ، وإنِ اعْتُبِرَتْ (كانَ) بِمَنزِلَةِ الرّابِطَةِ - وهو الظّاهِرُ - فالتَّقَوّي حاصِلٌ مِن مَعْنى الثُّبوتِ الَّذي تُفيدُهُ الجُمْلَةُ الاِسْمِيَّةُ[1].

تقديم الموصول يُقَوّي الحُكْمَ

بلاغةُ التّشبيه في الآية:

مَعْنى ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾: تَشْبيهُ حالَةِ اسْتِئْصالِهِمْ وعَفاءِ آثارِهِمْ بِحالِ مَن لَمْ تَسْبِقْ لَهم حَياةٌ، أو لَمْ تَكُنْ إقامَةٌ؛ لِلدَّلالَةِ على انْمِحاءِ آثارِهِمْ، كَما قالَ: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾، وللتّشبيه جماعُ دلالاتٍ من تنبيهٍ، وإنكارٍ، وتعجّبٍ. ووجْهُ الشَّبه طبيعةُ ما أصابَهم من رجفةٍ، ولَيْسَ حالَةَ مَوْتِهِمْ؛ لِأنَّ ذَلِكَ حاصِلٌ في كُلِّ مَيِّتٍ ولا يَخْتَصُّ بِأمْثالِ مَدْيَنَ، وهَذا مِثْلُ قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾[2].

اسْتَأْصَلَ اللهُ شَأْفَتَهُمْ ومحا آثارهم فكأنّهم لم يكونوا

نكتةُ تكرار جملة ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾:

التّكرار لِقَوْلِه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ تكرارُ جملة، وهو أبلغُ من تكرار المفرد، وغايتُه التَّعْديدُ وإيقاظُ السّامِعينَ، وهم مُشْرِكو العَرَبِ، لِيَتَّقوا عاقِبَةَ أمْثالِهِمْ في الشِّرْك والتَّكْذيبِ على طَريقَةِ التَّعْريضِ، كَما وقَعَ التَّصْريحُ بِذَلِكَ في قَوْلِه - تعالى -: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَالُهَا﴾[3]، فهذا الاستئناف، والتكريرُ مبالغةٌ في ردّ مقالة الملأ لأشياعهم، وتسفيهٌ لرأيهم، واستهزاءٌ بنصحهم لقومهم، واستعظامٌ لما جرى عليهم[4]؛ إذ من عادة العرب الاستئنافُ من غير عطف في الذمّ، والتّوبيخ، فيقولون: أخوك الذي نهبَ، أخوك الذي هتَك سترَنا[5].

في التّكرير إيقاظٌ للقلوب، وتنبيهٌ للسّامعين؛ ليتّقوا مثيلَ شركهم وتكذيبهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/14.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/14.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/14.
(4) الزمخشري، الكشّاف: 2/131.
(5) القاسمي، محاسن التأويل: 5/155.

بلاغةُ التّعريض في الآية:

تكذيبُ شعيبٍ عليه السلام هو سببُ النّدامة والخُسران

في التّعبير بالاسم الموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ تعريضٌ بتعظيم شأن غيرِ الخبر والإشارةِ إلى نوع الخبر، وأنّه من جنس الخسران، وذلك أنَّ شُعيبًا نبيٌّ يؤدّي تكذيبُه إلى الخيبة والخسران، لكنّ هذا الإيماءَ إلى نوع الخبر ليس مقصودًا لذاته، بل هو وسيلةٌ إلى التّعريض بتعظيم شأن غيره، وهو شعيب عليه السلام؛ لأنَّ تكذيبَه هو سببُ خسرانه، ولفظُ شعيب واقعٌ في سياق الصّلة لا في سياق الخبر، فالتّعريضُ إذًا لتعظيم شأن غيرِ الخبر، وهذا التّعريضُ أقوى في التّأثير في المخاطَب مِنَ التصريح؛ لأنه يوجِّهُ انتباهَه إلى خطورة التّكذيب وعاقبته، ويحثُّه على اتّباع الحقّ، وفي هذا القول إشارةٌ إلى قدرة الله على معرفة ما في صدور الخلْقِ وإخبارهم به.

بديعُ التّعْبير بضمير الفصل:

إظهارٌ لسفهِ قولِ الملأ، وتهافتِ آرائهم، وتَحذيرٌ لأمْثالِهِمْ مِنَ الوُقُوعِ في الضّلال

ضَميرُ الفَصْلِ في قَوْلِه: ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ يُفيدُ الحصر، والقَصْرَ وهو قَصْرٌ إضافيٌّ، أيْ: دونَ الَّذينَ اتَّبَعوا شُعَيْبًا، وذَلِكَ لِإظْهارِ سَفَهِ قَوْلِ المَلَأِ للعامَّة: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾؛ تَوْقيفًا لِلمُعْتَبِرينَ بِهِمْ على تَهافُتِ أقْوالِهِمْ وسَفاهَةِ رَأْيِهِمْ، وتَحْذيرًا لِأمْثالِهِمْ مِنَ الوُقوعِ في ذَلِكَ الضَّلالِ[1]. وبه - والحصر أعني - اكتفى عنِ التَّصريح بإنجائه عليه السلام ومن معه[2].

بلاغةُ الاستعارة في لفظ الخسران:

أرادوا نفعَ أنفسِهم في زعمِهم فألحقوا بها الضّرر

وَصَفَ جلّ شأنه فِعْلَهم بالخُسْرانِ؛ لأنَّ حَقيقَةَ الخُسْرانِ نُقْصانُ مالِ التّاجِرِ، والتّاجِرُ قاصِدُ الرِّبْحِ، وهو الزّيادَةُ، فإذا خَسِرَ؛ فقَدْ باءَ بِعَكْسِ ما عَمِلَ لِأجْلِهِ، ولِذَلِكَ كَثُرَ في القُرْآنِ اسْتِعارَةُ الخُسْرانِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/14.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/7.

لِعَمَلِ مَنْ يطلبون نَفْعَ أَنْفُسِهِمْ بِالتَّخَلُّصِ مِن أضْرارٍ في الدُّنْيا مُحْتَمَلٍ لَحاقُها بِهِمْ مِن جَرّاءِ سوء أفعالِهم، فيقعون في أضْرارٍ مُحَقَّقَةٍ في الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ، فالخُسْرانُ مُسْتَعارٌ لِحُصولِ الضُّرِّ مِن حَيْثُ أُرِيدَ النَّفْعُ، والمُرادُ بِهِ هُنا التَّحْذيرُ مِن أضْرارِ ما حصل لهم في الدُّنْيا مِن جَرّاءِ غَضَبِ آلِهَتِهِمْ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الظّاهِرَ أنَّهم لا يَعْتَقِدونَ البَعْثَ، فإنْ كانوا يَعْتَقِدونَهُ، فالمُرادُ الخُسْرانُ الأعَمُّ[1]، فهي استعارةٌ تصريحيّةٌ تبعيّةٌ لكونها في اسمٍ مشتقّ هو: (الخاسرون)، فالاستعارة بدءًا في المصدر (الخسران)؛ إذ شبّه خسرانَ الكافرين لدنياهم وآخرتهم المستلزمَ لعقابهم بخسران التاجر لتجارته، وقد كدَّ فيها، وأفنى رأسَ ماله عليها، بجامع (انعكاس المأمول من العمل المكدّ)، ثم اشتُقَّ منه اسمُ الفاعل (الخاسرون) على سبيل الاستعارة التّصريحيّةِ التبعيّةِ في المشتقّ.

أو في الخُسْرانِ اسْتِعارَةٌ تَخْييليَّةٌ؛ لِأَنَّ الخُسْرانَ مُتَعارَفٌ في التِّجاراتِ، وهَذا الكَلامُ ورَدَ مَوْرِدَ الإنْصاف، حَيْثُ لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّهُمُ المُؤْمِنونَ بِالباطِلِ الكافِرونَ بِاللّه ﷻ، بَل أبْرَزَهُ في مَعْرِضِ العُمومِ، ليَهْجُمَ بِهِ التَّأمُّلُ على المَطْلوبِ[2].

دلالة لام الجنسِ في الخبر:

خسران الكفّار بلغ الغاية في ذلك

ويُستفاد عِظَمُ الخسران من تعريف الخبر بلام الجنس؛ ليدلّ على أنهم الكاملون في الخسران[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/113، و9/13.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/18، والاستعارة التَّخْييليَّةُ: إثباتُ لازم المشبّه به لِلمُشَبَّهِ. فهذه قرينة المكنيّة: التي هي لفظ المشبّه به المستعار في النّفس لِلمُشَبَّهِ، والمحذوف المدلول عليه بشيء من لوازمه.

(3) الطيبي، فتوح الغيب: 9/480.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»